ISSN : 2543-3938

الأمن الثقافي المغاربي وآليات مواجهة تحديات العولمة

أ. كمال بوغديري، جامعة محمد خيضر بسكرة – الجزائر-
ethnokam1@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2017/11/15 تاريخ القبول: 2018/01/03 تاريخ النشر: 2018/06/30

ملخص

يستعرض المقال مسألة "الأمن الثقافي" وأهميته ومقوماته الأساسية، في ظل تنامي ظاهرة العولمة وما انجر عنها من عمليات اختراق خارجي كثيف وعميق للداخل؛ تهاوت الحدود بين الشعوب من جهة ومن جهة أخرى امتداد هذا الاختراق وبدرجة غير مسبوقة للنطاقات الثقافية والاجتماعية؛ ومن ثم بروز أهمية الأبعاد الثقافية-الحضارية في التفاعلات العالمية وهي عوامل خارجية التي تهدد الأمن الثقافي للمجتمعات، النامية. والمجتمعات المغاربية تعترف هي بدورها موجة من التحولات السريعة والمتلاحقة التي شملت مختلف أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، لذلك فقد بات من الضروري الانتباه إلى مسألة الحفاظ على الأمن الثقافي وتبني جملة من الآليات التي تمكنها من ذلك.

الكلمات المفتاحية: الأمن، الثقافة؛ الأمن الثقافي؛ العولمة؛ العولمة الثقافية

Résumé

L'article représente la question de la «sécurité culturelle» et son importance et ses composantes fondamentales, à dans le cadre du la mondialisation et et ses pénétration profonde de l'intérieur qui en résulte; la délimitation de la frontière entre les peuples et la pénétration aux domaines culturels et sociaux . Il est donc nécessaire de prêter attention à la question de la sécurité culturelle et d'adopter un certain nombre de mécanismes pour le faire.

Mots-clés: Sécurité, Culture; Sécurité culturelle; Mondialisation; Mondialisation culturelle.

ISSN : 2543-3938

مقدمـــة

يشهد العالم اليوم تغيرات مست جميع مجالات الحياة الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية، السياسية، لعبت فيها تكنولوجيات الإعلام والاتصال دورا كبيرا، مكنت من الانتقال السريع للمعارف والأفكار والأيديولوجيات والمعتقدات وغيرها التي اخترقت الحدود الجغرافية للمجتمعات والشعوب والدول جعلت الكثير من الشعوب والمجتمعات تتساءل عن مصير خصوصياتها الثقافية وكل ما يشكل هوياتها في ظل تنامي ما يعرف بظاهرة العولمة بأشكالها المختلفة والتي منها العولمة الثقافية التي وضعت الكثير من الشعوب أمام تحديات وإشكاليات وآفاق طرحها هذا الواقع النوعي الذي حتم تفاعل غير متساوي بين شعوب منتجة وأخرى مستهلكة لأشكال الثقافة، وفي خضم هذه التطورات والتحولات الهائلة في جغرافيا الزمان والمكان، يطل علينا مصطلح الأمن الثقافي نظرا لأهميته وارتباطه بالثقافة ومعالم الحضارة ويعلن أهمية تواجده على الساحة المعاصرة وبقوة كسلاح قوي في مواجهة القوى الفكرية التي تحارب الحضارات والشعوب بأفكار هدامة وعنف مفرط وحروب لا تنتهي، وكذلك كمحور هام من محاور حياة البشر اليومية بعد أن حولت التكنولوجيا الدول المختلفة والمتباعدة إلى بيوت صغيرة في عالم واحد اتسعت حدوده وتلاشت مع الانتقال السريع بل الفوري للمعلومات والأحداث.

تقوم ورقتنا البحثية هذه على تحديد مفهوم الأمن الثقافي وأهميته والذي خصصناه للدول الثلاث للمغرب العربي لمّا لهذه الدول من جذور تاريخية استعمارية جعلت أمنها الثقافي مهددا، وكونها دول جارة للدول التي استعمرتها سابقا و تتعاون معها حاليا.

إن تميز دول المغرب العربي الثلاث: الجزائر، تونس، المغرب بموقع استراتيجي جعلها محط اهتمام الدول الكبرى الأوربية منها كفرنسا منذ قرون خلت و عرضها للاحتلال و تسبب في تخلفها، و بعد بروز ظاهرة العولمة انخرطت هذه الدول فيها و تأثرت خاصة العولمة الثقافية بتحدياتها وعليه نطرح يمكننا طرح التساؤل التالي: **ما المقصود بالأمن الثقافي وإلى أي مدى أدت العولمة بتحدياتها الثقافية بالدول المغاربية إلى ضرورة التفكير الجدي في البحث عن آليات كفيلة بتحقيق أمنها الثقافي ؟**

1ـ مفهوم الأمن الثقافي

بداية الأمن والأمان، والأمانة، والأمن نقيض الخوف، أو كما ذكر الأصفهاني "أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف".[1]

اصطلاحا: عرّفه "دومينيك دافيد" D.David بقوله هو:" خلو وضع ما من التهديد أو أي شكل من الخطر، وتوفر الوسائل اللازمة للتصدي لذلك الخطر في حال أصبح أمرا واقعا".[2]

أيضا " كنيث والت" K.Walt عرفه بقوله هو: "أمن الدولة وبقائها"،[3]وقد ركز على المعنى الضيق للأمن، لذا نجد "كين بوث" K.Both يعرّفه بشكل أوسع قائلا هو: "الانعتاق الذي يعني تحرير الشعوب من القيود التي تعيق مسعاها للمضي قدما في اتجاه تجسيد خياراتها، ومن بين هذه القيود الحرب،والفقر والاضطهاد ونقص التعليم وغيرها كثير".[4]ومن ذلك نقول أن الأمن يعني الطمأنينة وانعدام الخوف.

ISSN : 2543-3938

أما كلمة"الثقافة": فقد وردت في المعجم الوسيط فـ "ثقف الشيء، أقام المعوج منه وسواه، و"ثقف"الإنسان أي أدبه علمه وهذبه. والثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب العلم بها والحذِقُ فيها.

أما اصطلاحا: فعرفها" إدوارد تايلور" بقوله هي **"الثقافة أو الحضارة بمعناها الإناسي الأوسع، هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع.**[5] أما جلال أمين فيعرفها " بقوله هي:" عادات وأنماط سلوك وميل وقيم ونظرة إلى الكون والحياة".[6] فالثقافة أنماط واضحة من السلوك يحصل عليها الإنسان وتنتقل إليه عن طريق رموز تتكون من الإنجازات المميزة للجماعات الإنسانية.

تعتبر الثقافة جزءًا مهمًا وحيويا من الحضارة وانعكاسً ا لمعنى الحياة في مراحلها المختلفة وشكلها المتغير من مكان لآخر، وتبعاً لهذا المفهوم تعتبر الثقافة قوة لا يستهان بها في الشؤون العالمية والعلاقات بين الأمم وبعضها البعض، فيكفي أنها المفهوم الأوسع والأشمل لأشكال هامة ومختلفة من مناحي الحياة وممارستها اليومية كما أنها تتضمن أعمالًا وموجودات مختلفة تعكس بكل تأكيد حضارات الشعوب وفكرهم المبدع سواء كانت معابد أو متاحف أو آثارا أو فنونا بالإضافة إلى الإعلام بكل روافده الأخرى الهامة الذي يشكل جانبا ثقافيا مهما ومؤثرات في رسم السياسات وتحديد الأولويات وأسلوب الأداء، مما يجعل الوصف الأقرب للثقافة أنها الحروف التي بها نكتب تاريخنا البشري.

إن هذا الشرح السريع والبسيط للمعنى السائد والمتداول لكل من الأمن والثقافة يطرح للوهلة الأولى تساؤلًا هامًا: كيف يجتمع الأمن والثقافة في مصطلح واحد ليعكسا مفهومًا حضاريا غاية في الأهمية وضرورة ملحة لضمان استمرار الحياة؟ على الرغم من أن التعريف السابق قد يعبر في ظاهره عن التناقض إلا أنه في باطنه يعكس التلازم والترابط والتكامل فالثقافة لا يكتمل وجودها دون توفير قواعد أمنية هامة تحميها، والأمن بمفهومه الأعمق هو حصيلة مجموعة من الإجراءات والتدابير الوقائية والعقابية التي قد تتخذها السلطة للحماية انطلاقاً من المبادئ التي تدين بها الشعوب ولا تتعارض أو تتناقض مع المصالح المعتبرة لتحقيق أهداف وغايات أي مجتمع.[7]

إذاً فالأمن الثقافي هو قدرتنا على توفير الحماية المطلوبة للثقافة لتحقيق حرية الإبداع من جهة والحفاظ على مكتسبات الشعوب الثقافية والفنية والدينية من جهة أخرى.

الأمن الثقافي هو مفهوم إيجابي وتفاعلي لتأسيس رؤية جديدة للأمن حين يترادف مع الثقافة، ويتم استخدامه بالشكل المطلوب لتوفير احتياجات المجتمع ويكفل حرية الرأي والرأي الآخر ويحفظ حقوق الدول والأفراد على حدٍ سواء فيما يمتلكون من ثقافات وآثار وفنون وأعمال فنية، هو إرساء لمفهوم مختلف من التفاعل الإنساني والعلاقات المستمرة والمتبادلة بين أنواع مختلفة من البشر، ومفهوم جديد للتعامل الحضاري الناضج القائم على الاحترام والتقدير بين الأمم وبعضها، فهو عنصر هام من عناصر النهضة المجتمعية ومظهر من مظاهر القدرة على التحرر واسترداد هويتنا البشرية والإنسانية المفقودة الأمن الثقافي هو البيئة الصالحة والحاضنة للتعايش السلمي والقضاء على الإرهاب والجريمة بكل أشكالها وبالتالي فهو مجموعة من الإجراءات والأفكار والقواعد والقوانين التي يجب اتخاذها وتحقيقها للوصول إلى التنمية البشرية بمفهومها الشامل، وتحقيق

السلامة والاستقرار والحماية والحرية لخدمة أهداف وغايات المجتمعات، والتقدم إلى الأمام دون خوف أو رهبة بكل ثبات وثقة[8].

أما "الأمن الثقافي"فيعرَّف على أنّه:" الحفاظ على المكونات الثقافية الأصلية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة "، وهو بهذا المعنى حماية وتحصين للهوية الثقافية من الاختراق والاحتواء من الخارج.وبمعنى أخر :"الشعور الذاتى بالانتماء القومى، والذي خلق اطمئنانا للوجود لدى الأفراد المنتمين إلى أمة واحدة، فهو يكمن فى المحافظة على الهوية والدفاع ضد من يحاول زعزعة ثقافة الأمة".كما يُشير لمفهوم أيضا إلى:"المحافظة على مقومات الثقافة وتأصيلها وتطويرها لتساير مستجدات العصر وتحولاته،حتى يمكّننا ذلك من الحوار المثمر والخلاق والمبدع مع الآخر".[9]

وتتجلى أهمية تحقيق الأمن الثقافي في الجوانب التالية:

- الحفاظ على الذاتية الثقافية من خلال القيم والمعايير التي تحيط بالمجتمع واستقراره وتميزه عن باقي المجتمعات الأخرى.
- تحقيق الأمن الثقافي يسهم في بناء المواطن الصالح، ويحميهم من كل التيارات الوافدة والأفكار الهدامة، ومن التطرف والإرهاب والعنف السياسي، ويجعله قادرا على المشاركة الفعالة في تنمية المجتمع.
- تحقيق الأمن الثقافي يأتي على رأس العوامل التي تحمي الشباب من السلوك الاجتماعي غير المرغوب فيه مثل: أفلام الجريمة، العنف، الجنس وغيرها.

يؤدي تحقيق الأمن الثقافي إلى حماية عاداتنا وتقاليدنا المتوارثة عبر القرون الماضية، والتي تمتد بدورها إلى القيم الإنسانية ذات الطابع الديني والاجتماعي. كما يستطيع الفرد من خلال الأمن الثقافي أن يدرك الكثير من المفاهيم الواردة من الثقافات الأخرى، ويعمل على الارتقاء بها بما يتناسب مع المجتمع وظروفه.

إن تحقيق الأمن الثقافي يسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية للمجتمع، فالفرد الواعي يشجع استخدام الإنتاج المحلي بدلًا من الترويج للصناعات الغربية التي تسبب إضرارا بالاقتصاد المحلي.[10]

والأمن الثقافي يرتكز على مقومات أساسية ستة هي:

أ)- اللغة: وهي نظام عرفي مكون من رموز وعلامات يستغلها الناس في الاتصال يبعضهم البعض وتحقيق التعاون فيما بينهم،وفي التعبير عن أفكارهم وتصوراتهم ورغباتهم،كما أنّها منهج ونظام للتفكير الضابط لانفعالاتهم التي تصدر بطريقة إرادية ويساعد على التعبير والاتصال والتفاهم ونقل الأفكار،وهذا يعني أنها منهج للتعليم ونظام لحفظ التراث الثقافي عبر الأجيال.

ب)- الدين: وهو مرادف لكلمة نظام أو منهج في الاصطلاحات الحديثة،مع شمول المدلول للإيمان والاعتقاد في القلب والسلوك في الواقع، والشريعة لكل جوانب المجتمع الإنساني.كما أنَّ الدين ظاهرة مجتمعية، تمثل أحد الجوانب الأساسية لمعظم الأنشطة النظامية في المجتمع، ويتمتع بأخلاق وقيم نظامية وعقلانية.فالدين يُمثل القاعدة الأساسية التي يُبنى عليها كل أمن ثقافي متكامل. وهو يتضمن أساسا: العقيدة الراسخة، والقيم الدينية والأخلاقية، التي تمكن الفرد والمجتمع من السير بثبات في ظل عالم مترابط بلا دين واحد ولا هوية واحدة مهيمنة،

ISSN : 2543-3938

فهو يسعى إلى التأكيد على الهوية وتكوين الإنسان الصالح في الحياة، وهو أيضا المقنن الأول للقيم والمعايير الأخلاقية.

ج)- **التراث:** هو المخزون الثقافي والمعرفي،وهو الرصيد الفكري والأيديولوجي لمعطيات العقل والسلوكيات للفرد والجماعة، ويدخل ضمن هذا المخزون والرصيد كل أشكال الثقافة والحضارة عبر العصور.ولكل أمة تراثها الحضاري والثقافي الذي يمثل ذاكراتها التاريخية أو سجلها الحي الذي أودعته تجاربها وخبراتها في حياة ممتدة، امتدادا لعصور،وينتقل التراث بالتعليم في شكل عقائد ولغة وعلوم وآداب وفنون وتقاليد، لكنه لا ينتقل إرثا جامدا ثابتا، بل ينتقل في صيرورة،حيثي خضع لروح العصر ويستجيب لمتطلباته.

د)- **الذاتية الثقافية:** وهي جميع السمات المميزة للأمة، كاللغة والدين والتاريخ والعادات والتقاليد، وطرائق التفكير ومظاهر السلوك وغيرها، مما يحفظ للأمة شخصيتها وتميزها عن غيرها من الأمم. ونظرا لأهمية الذاتية الثقافية، حيث يدعو "ميشيل ويلموند Michel Welmond" إلى الاهتمام بتحقيق الذاتية الثقافية من خلال المعلمين ومناهج التعليم العام، لأنها الأساس في الحفاظ على الهوية والأمن والاستقرار للثقافة السائدة في المجتمع فيظل عولمة الترابطات المختلفة بين الثقافات والأمم.

ه)- **الانتماء:** هو اتجاه إيجابي مدعم بالحب، يستشعره الفرد تجاه وطنه، مؤكدا ارتباط وانتساب نحو الوطن، باعتباره عضوا فيه،ويشعر نحوه بالفخر والولاء ويعتز ومهموما بقضاياه، وعلى وعى وإدراك بمشكلاته، وملتزما بالمعايير والقوانين والقيم والتقاليد التي تعلي من شأنه وتنهض به، محافظا على مصالحه وثرواته،مراعيا للصالح العام، ومشجعا ومسهما في الأعمال الجماعية ومتفاعلًا مع الأغلبية ولا يتخلى عنه وإن اشتدت بها لأزمات.

و)- **المواطنة:** تعبر عن التعلق أو الارتباط الروحي والنفسي بين الفرد ووطنه ومواطنيه،حيث تربطهم علاقات وروابط لغوية وثقافية وروحية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وبقدر هذا التعلق أو الارتباط يكون إخلاص المواطن لوطنه. فالمواطنة صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته تجاه وطنه، فتجعله إيجابياً يدرك ماله وما عليه، ويكون قادرا على المساهمة الفعالة في بناء الوطن الذي يعيش فيه[11].

2-مفهوم العولمة الثقافية:

العولمة الثقافية تعني إلغاء الحدود والحواجز الثقافية بين الأمم والمجتمعات، وجعل العالم قرية صغيرة من خلال وسائل الاتصالات الحديثة وشبكات الإنترنت والتكنولوجيا.

قد يبدو للوهلة الأولى أن العولمة الثقافية هي ترك الحرية المطلقة للثقافات الأخرى أن تعبر عن نفسها وتنتقل من نطاقها الضيق إلى آفاق رحبة و واسعة من العالم وفق فرص متكافئة بحيث تتفاعل الثقافات في ما بينها في ظل ثورة الاتصالات التي تسهل من نقل الأنماط الحضارية و الثقافية من منطقة إلى أخرى .لكن الواقع يخالف دلك و ينقضه، لأن تدفق المعلومات يجري باتجاه واحد من الغرب إلى الشرق وهناك عدم تكافؤ نتيجة التفوق الإعلامي بالإضاءة إلى تحصن الغرب ضد التأثيرات الثقافية العربية والإسلامية من خلال تشويه صورة الإسلام والمسلمين في نظر المواطن الغربي[12].

إن العولمة هي محاولة جهة ما تعميم تطبيق أمر ما على العالم كله، و من خلال هدا التعريف يمكن القول عن العولمة الثقافية هي محاولة مجتمع ما تعميم نموذجه الثقافي على المجتمعات الأخرى من خلال التأثير على

المفاهيم الحضارية، والقيم الثقافية، والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية مختلفة وتقنيات متعددة[13].

كما تعرف على أنها محاولة إيجاد ثقافة عالمية، تعنى بتوحيد القيم، حول المرأة والأسرة، وجميع ما يمكن أن يندرج تحت لفظة الثقافة، فهي توحيد للثقافات بغير حدود، وآلة ذلك الإعلام بوسائله المختلفة والاتصالات بقطاعاتها المتعددة، وهذه العولمة مبنية على سرعة انتشار المعلومات، وسهولة حركتها مع إمكانية الوصول إليها بغير رقيب أو حسيب[14].

وهي بهذا المفهوم تعني اغتصاب ثقافي وعدواني رمزي على سائر الثقافات، وبخاصة ثقافتنا العربية إن ما تهدف إليه العولمة الثقافية هو إيجاد ثقافة عالمية، تعني بتوحيد القيم، حول المرأة والأسرة وجميع ما يمكن أن يندرج تحت لفظة الثقافة، فهي توحيد للثقافات بغير حدود، و آلة دلك الإعلام بوسائله المختلفة والاتصالات بقطاعاتها المتعددة، وهده العولمة مبنية على سرعة انتشار المعلومات، وسهولة حركتها مع إمكانية الوصول إليها بغير رقيب أو حسيب وبما أن دراستنا تختص بمنطقة المغرب العربي ذات الخصائص العربية، فيمكن إجمال أهداف العولمة الثقافية في هذه المنطقة في:

-اختراق المجتمعات العربية والإسلامية، وزرع قيم وأفكار القوى المسيطرة في نفوس أبناء العالم العربي.

-التأسيس لهوية ثقافية و حضارية للمجتمعات العربية بعد إسقاط عناصر الممانعة والمقاومة لديها.

-فرض سياسة إعلامية قادرة على إعادة صياغة الأخلاق والقيم والعادات وفرض هيمنة ثقافية جديدة تصب في مصلحة الدول الغربية[15].

مخاطر العولمة على مقومات الثقافية العربية :

1- على المستوى اللغوي:

كانت اللغة العربية ومازالت جوهر الهوية الثقافية للشعوب العربية، فهي أولًا لغة القرآن الكريم وثانيا لغة ثرية في محتواها، ثمينة بقدرة مفرداتها على التعبير عن الحياة في أدق تفاصيلها، وهى رباط القومي، يجمع هذه الشعوب ويوحد بين منطلقاتها وغاياتها، وهي المقوم الأساسي والرئيسي لتحقيق الأمن الثقافي لجميع الدول العربية، وقد أشار إلى ذلك عباس العقاد وبين أن اللغة العربية أصبحت مستباحة الحمى بقوله: "لقد تعرضت وحدها من بين لغات العالم لكل ما ينصب عليها من معاول الهدم ويحيط بها دسائس الراصدين لها، لأنها قوام فكره وثقافة وعلاقة تاريخية".

وإذا كانت بعض دول الغرب أو من هو قريب منها يشكو من العولمة ذات المضامين الثقافية للوطن الأم على الهوية الثقافية لشعوبها، حيث نجد مثلا فرنسا من أكثر الدول الغربية شكوى من عولمة الثقافة ومن هيمنة اللغة الإنجليزية، والخوف على الهوية الفرنسية، ولذلك لجأ الفرنسيون إلى وضع الثقافة في خانة الاستثناء، لأنهم تنبهوا إلى أن قوة الإنتاج الثقافي الأمريكي تؤدي إلى التغيير التدريجي في معايير السلوك وأنماط الحياة، فما بالك باللغة العربية، ولا أدل على ذلك من أن 88% من معطيات الأنترنت باللغة الإنجليزية، و9% بالألمانية و2% بالفرنسية، و1% يوزع على باقي اللغات. بحيث لا يمثل حضور اللغة العربية في الإنترنيت سوى 0.89% من مجموع اللغات التي يستخدمها العارفون بالتعامل مع الشبكة.[16]

وقد بيّن "هنتجنتون" في كتابه (صدام الحضارات) أهمية اللغة في الصراع حيث أن توزع اللغات في العالم عبر التاريخ يعكس توزع القوة العالمية فاللغات الأوسع انتشارا: الإنجليزية، الماندارين(الصينية) الأسبانية، الفرنسية، العربية، الروسية. كانت لغات دول إمبراطورية جعلت شعوبا أخرى تستخدم لغتها. كما أن التحولات في توزع القوى، تؤدي إلى تحولات في استخدام اللغات، حيث أن مرور قرنين على بدايات القوة البريطانية والأمريكية الاستعمارية والتجارية والصناعية والعلمية والمالية، تركا ميراثاً ضخماً في التعليم العالي والتجارة والتقنية في أنحاء العالم.

إنّ إحصاءات منظمة اليونسكو عن الوطن العربي تشير إلى أنّ شبكات التلفزيون العربية تستورد ما بين ثلث إجمالي البث، كما في سوريا ومصر، ونصف هذا الإجمالي، كما في تونس والجزائر، أما في لبنان فإنّ البرامج الأجنبية تزيد على نصف إجمالي المواد المبثة إذ تبلغ 58.2%.ومعلوم أثر هذه البرامج على العقائد والقيم والأخلاق والعادات واللغة .

إن مما يزيد خطورة العولمة الإعلامية على اللغة العربية ضعف العالم الإسلامي وهزيمته حضاريا، أمام الغرب وهذا ما يزيد اختراقها للهوية الثقافية العربية، كما قال "ابن خلدون" : "المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وسائر أحواله وعوائده."[17]

إضافة إلى ذلك يتضح أكبر تأثير على اللغة العربية في ظل العولمة الإعلامية في تغيير المفاهيم باصطناع مصطلحات جديدة لم تتداولها الشعوب، وبذلك تجد ميدانها في خدمة واضعيها، كوصف مقاومات الشعوب من اجل التحرر بالإرهاب، ودول ككوريا الشمالية وإيران بمحور الشر ؛ كما أن مصطلح حقوق الإنسان أصبح تبرئة وغطاء يضفي الشرعية على كل التجاوزات والإكراهات التي يمكن فرضها وممارستها على الآخرين .

واليوم يتم الاعتراف باللغات الأجنبية كلغات أساسية تقريبا كاللغة الرسمية في الدولة، ويتم توسيع الحجم الساعي لها بما أصبحت وكأنّها اللغة الرسمية إلى جانب اللغة الأم، وهذا هو بداية مسخ الهوية الثقافية إراديا. ولعل التنافس بين الدول المتقدمة وربط الدول الاستعمارية بالدول المستعمرة في جانب إضفاء اللغة الأجنبية لتصبح لغة ذات أهمية منافسة للغة الأم لهو دليل على تأثير سلبي عولمي، ومسخ وضرب ونفي لمقومات الهوية الوطنية، إضافة إلى اللغة الهابطة واللغة العامية التي تزايدت بفعل العولمة من تداخل اللغات في بعضها البعض بإحداث لغة جديدة غريبة بالجمع بين عدّة كلمات تمثل عدّة لغات.[18]

أكدت إحدى الدراسات حول اللغة الإنجليزية وانتشارها أن خمس سكان العالم يتكلمون الإنجليزية بدرجة ما، وأن الحاجة إلى الباقين لتعلمها في ازدياد مستمر.

ومن أخطار العولمة على لغتنا أنها تريد أن يكون أدبنا تابعا لأدبهم، وشعرنا تابعا لشعرهم، ونظرتنا إلى الوجود والإنسان تابعة لنظرتهم، حتى لغتنا التي نعتز بها لكونها لغة كتاب الله المنزل، يريدون ألاّ نعتمد عليها وأن يكون نصف كلامنا من لغاتهم، نقحمها إذا تكلمنا، وإذا كتبنا، ونعلّم بها أبنائنا في مدارسنا وجامعاتنا".[19]

2- على المستوى الديني:

يعد المعتقد الديني أحد الميادين الخصبة للعولمة ذات المضامين الثقافية لآي مجتمع ولذلك تشن الشعوب الغربية حربا ضد معتنقي الدين الإسلامي،ومن أدلة ذلك وجود مصطلحات تبين ذلك منها مصطلح

"العولمة" في حد ذاته، لأنه من وضع إنساني ويبقى النقيض لخاصية الإسلام الشامل العالمي الجوهر والنزعة، وأيضا مصطلح "الإرهاب" الذي يبدو أنه متناقض مع مصطلح المقاومة ، ومصطلح "الحرية" الذي ينهي التحرر من كل قيد ديني، وهناك ظن بأن الإسلام يقيد الحرية، لأن الحرية التي تضعها العولمة هي القضاء في نفس الوقت على حرية الفرد في المعقتد، وكل من يطبق الدين ويضفيه على القانون وحتى في الأخلاق والعبادات والمعاملات أصبح يطلق عليه في حياة العولمة بأنه "رجعي ومتخلف".[20]

ألا يحق للعرب المسلمين أن يخشوا على تلك الجواهر من أثر العولمة على الهوية إن أخطر ما تحمله العولمة تهديدها لأصل العقيدة الإسلامية، لما تدعو له العولمة التي تسعى لإعادة تشكيل المفاهيم الأساسية عن الكون والإنسان والحياة عند المسلمين، والاستعاضة عنها بالمفاهيم التي يروج لها الغرب ثقافياً وفكرياً، كالفلسفة المادية والنموذج المادي الاستهلاكي من المجتمعات، حيث لا مكان للمقدسات أو المطلقات أو الغيبيات وإنما استدامة عملية التراكم والتحكم في الإنسان والطبيعة.[21]

الدين الإسلامي يبقى يمثل القاعدة الأساسية التي يُبنى عليها الأمن الثقافي العربي المتكامل من حيث العقيدة الراسخة، والقيم الدينية والأخلاقية في ظل عالم يتجه إلى أن يكون بلا دين ولا هوية واحدة، فهو يسعى إلى التأكيد على الهوية وتكوين الإنسان الصالح في الحياة، كما أنه من القوى الرئيسية في المجتمع، فهو المقنن الأول للقيم والمعايير الأخلاقية كما أسلفنا.

3- على مستوى التراث والتاريخ:

التراث هو صورة حقيقية لماضي الأمة، وديوان مفاخرها وذكرياتها، ومستودع تجاربها بنجاحاته وانكساراته، هو ما يوحد ويميز أي أمة عن باقي الأمم البشرية. فكل الذين يشتركون في تاريخ واحد يعتزون ويفخرون بمآثره هم أبناء أمة واحدة، وشعب واحد، وهوية واحدة. ومن ثمّ فإنّ الهوية هي نتاج لحركية التاريخ في المجتمع، تتغير وتتبدل وتتطور حسب وعي الجمعي للشعوب بهذا التاريخ.

ونستطيع القول أنّ حجر الأساس في عملية التقدم الاجتماعي والحضاري لأيّة أمّة مرهون بمدى وعيها بتاريخها وبتراثها الذي يمثل تجارب إنسانية جاهزة، ورثتها عن أسلافها تنطلق منها نحو المستقبل، لأنّ "... المستقبل ما هو إلاّ الماضي، مرورا بالحاضر، والوجود الشّخصي هو ثمرة لخبرات الماضي وتجاربه وأحداثه". فالتراث ليس هو "الماضي بكل ما حفل به من تطورات في المجالات جميعا، وما شهده من أحداث تعاقبت عبر العصور ولكنه الحاضر بكل تحولاته، والمستقبل بكل احتمالاته. إنّه يمتد في حياتنا وينتقل معنا إلى المستقبل. فهو جزء منا لا نستطيع الفكاك منه. وبذلك يصبح سمة أصيلة من سمات الهوية، به تكتمل عناصرها وبصبغته تصطبغ". فهو يمثل التجربة الفعلية للآباء والأجداد وما خلفوه لنا من علم وفكر وحكم وفلسفة وشعر و...غيرها من التجارب الإنسانية الجاهزة التي يجب علينا أن نعيها وأن تكون هي الأساس الذي يوحدنا، والمنطلق الذي يحفزنا في بناء المستقبل.

لكن المتتبع لقضايا الهوية الوطنية للشعوب العربية يدرك أنّها أصبحت متشظية، ومضطربة، بفعل ما يسمى "العولمة الثقافية، حيث يجد جيل اليوم نفسه منشطراً بين الانتماء لتاريخ طالما أعتز به وافتخر،وهو تاريخ الأمة كما هو تاريخ الدين، ووعاء لذكريات الأمة عبر الزمان و المكان.[22]

ISSN : 2543-3938

لقد أصبح العالم يشهد ثورة تكنولوجية عارمة، يصعب مواجهتها، تشتمل على الانترنت، والهواتف النقالة الذكية، والحواسب المكتبية والمحمولة، إلى غير ذلك من تقنيات الاتصال الحديثة، التي ألغت كل الحجب والحواجز بين الشعوب والثقافات، مسقطة طبائع العزلة، فدخلت البيوت، وسيطرت على العقول، مجسدة بذلك ملامح العولمة الغربية، التي تلعب ببراعة على حبل التقدم التكنولوجي، وتعاظم دور المعلوماتية،لأجل ضرب الهويات الوطنية والقومية للشعوب، ونزع الارتباط الوثيق لمفهوم الوطن المتصل بالأرض، فلم يعد "التفاعل على أرض واحدة هو الباعث الأول للتجمع، بل أصبح يتم عبر التكنولوجيا ووسائط الاتصال والمعلومات"؛ ليلغى بذلك عامل الأرض والوطن والتراث، المشكلون للهوية الوطنية، ويفتح المجال أمام هويات أخرى دخيلة تهدد الهوية الأم.

إنّ المرحلة التي يجتازها العالم اليوم، أصبحت تهدّد فيها الهويات بالتلاشي أو بالذوبان في الهوية الغازية الغالبة، ويتعرض فيها التراث الإنساني لحملات من المسخ والتشويه والتقليل من قيمته والنيل من فعاليته في صيانة حقوق المجتمعات الإنسانية، في التشبث بقيمتها التراثية وهوياتها التاريخية التي هي العمود الفقريّ لخصوصيتها الروحية ولمكوناتها الثقافية ولسماتها الحضارية.

فالإنسان العربي كغيرة من شعوب العالم الثالث لم يعد يستقي كل مفاهيمه وخبراته من الموروثات، ومن تجارب الأجداد وتاريخهم، بل أصبح يستند إلى تجارب جديدة تفرضها عليه التكنولوجيا ووسائطها المبهرة، وأصبحت مرجعيته الدنيوية وحتى الدينية يستقيها من وسائل الإعلام، ومواقع الإنترنت، خصوصا مواقع التواصل الاجتماعي المنتشرة بشكل رهيب في المجتمعات، مهدّدة استقرارها ونظم عيشها، لما تقدمه من كمّ هائل من المعلومات والتعليقات والتوجيهات التي قد تتعارض والبنية السوسيولوجية للمجتمع.[23]

3ـالعولمة الثقافية والمجتمعات المغاربية

يعد المغرب مصطلحا عربيا يترجم على أنه" الغرب "أو" بلاد الغروب "تاريخياً أطلق أول الأمر على تلك الأقاليم الواقعة إلى غرب وادي النيل حتى الساحل الأطلسي لشمال إفريقيا.وفي سياق نظام الدولة الحديث يغطي هذا التعريف الشامل خمس دول هي: (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، وموريتانيا) التي لا تطل على البحر الأبيض المتوسط (وقد استخدمت الأبحاث الفرانكفونية مصطلح "المغرب "بشكل حصري بوصفه ينطبق على الأقاليم الفرنسية السابقة الثلاثة للمغرب والجزائر وتونس. وهذه الاختلافات في التعاريف تبين على نحو جيد مدى اعتباطية مفهومي الإقليم والإقليمية.

الملاحظ أن جميع بلدان المغرب الخمسة منهمكة في عملية بناء المؤسسات، ففي ربيع 1958 دعت الدول الفرانكفونية الثلاث إلى مغرب موحد، وتواصلت محاولات مترددة نوعاً ما لإيجاد إطار للتعاون منذ ذلك الوقت وفي نوفمبر 1989 شكلت الدول الخمس اتحاد دول المغرب العربي Union du Maghreb

سوف نركز على الدول المغاربية الثلاث: الجزائر، تونس والمغرب الأقصى، نظرا لتماثل هذه الدول من حيث الخصوصية الإستراتيجية ووحدة التاريخ الاستعماري حيث تتشارك هذه الدول الثلاث في نفس الدول المستعمرة و نفس الحقبة الاستعمارية، فإلى جانب البعد الاقتصادي والسياسي وبعد التنافس الدولي الذي يرتبط

ISSN : 2543-3938

بخصوصية علاقة فرنسا بهذه المنطقة هناك أيضا البعد أو العامل الجغرافي، بوضعه في سياق الإرث التاريخي المرتبط بالتاريخ الاستعماري.

إن دول المغرب العربي ليست بمنأى عن تأثيرات العولمة الثقافية وكل إشكال الاختراق الثقافي ذلك أن الدول التي تحاول تكريس وتعميم نماذجها الثقافية سوف تلجأ إلى جملة من الوسائل غايتها الأساسية تحقيق ذلك التعميم، و فيما يلي نستعرض هذه الوسائل:

تعد مجتمعات بلدان المغرب العربي من أكبر المستهلكين لوسائل العولمة الثقافية الجديدة التي تستحوذ على العالم وعليه سوف نستدرج لاحقا آثار هذه الوسائل على الأمن الثقافي لدول المغرب العربي من خلال مقوماته الأساسية.

إن لغة العلم والثقافة والمعلومات والإعلام عموماً هي اللغات الأوروبية، وإن احتاجت بقية الشعوب الدخول في نظام العولمة بجوانبه العلمية والثقافية والمعلوماتية ينبغي أن تدخل عبر بوابة اللغات الأوروبية وخاصة الإنجليزية، وهي الأكثر انتشاراً في ظل العولمة الراهنة، ونحن نرى أن اللغات السائدة في العالم الآن أي التي لها السيادة هي الإنجليزية، والفرنسية وبقية اللغات الأوروبية وإن كانت الإنجليزية هي الأكثر انتشاراً في العالم وبعدها الفرنسية وهما في صراع دائم أيهما تكون له الهيمنة[24].

كما ظهرت لغة جديدة و موحدة يستعملها الشباب المغاربي و العربي عند دردشتهم عبر الإنترنت، لها أثر كبير في تراجع نسبة استعمال اللغة العربية و حروفها،حيث أكد الدكتور علي صلاح محمود الذي قام بإعداد دراسة في المركز القومي للبحوث الاجتماعية بالقاهرة حول تأثير "الإنترنت على الشباب العربي أن حروف اللغة العربية تحولت إلى رموز و أرقام و باتت الحاء"وكلمة حوار تكتب " 7iwar "

وكلمة سعاد تكتب "so3ad" و الهمزة "2 " والعين "3 " وتبين للباحث لجوء الشباب إلى لغة حديث موازية بوجود شعورا بالاغتراب يدفعهم للتمرد على النظام الاجتماعي بعيدا عن قيود الآباء، وأضاف أنهم يؤلفون هذه اللغة كقناع في مواجهة الآخرين، وأشار إلى أن الإنترنت وما حملته من ثورة في عالم الاتصال و المعرفة أصبح إشكالية كبيرة فيما يتعلق بحجم الحرية التي يقدمها، فهو بنظر البعض ميزة كبيرة تتيح الإبداع وحرية التعبير، لكن هناك من يرون أنه أزال سقف الرقابة الاجتماعية والأخلاقية وأصبح يهدد قيم المجتمعات العربية[25].

4ـآليات حماية الأمن الثقافي المغاربي .

بعد أن استعرضنا بعض آثار العولمة على الأمن الثقافي في بلدان المغرب العربي، يجدر بنا أن نقدم الآليات التي يجب أن تعمل بشكل إيجابي لتحقيق الأمن الثقافي المغاربي لما له من أهمية في حياة هذه المجتمعات التي اخترِقت بفعل الوسائل التي تعتمدها العولمة الثقافية، وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى جملة الآليات التي يمكنها أن تكفل للمجتمعات المغاربية مجابة ثقافة العولمة، والتي تركز في مجملها على عملية التنشئة الاجتماعية للفرد أو المواطن وهي الطريقة التي يتم بها إعداد الأفراد منذ طفولتهم ليعيشوا في انسجام مع ثقافة مجتمعهم، ويدخل في ذلك ما يلقنه الآباء والمدرسون ومختلف مؤسسات المجتمع ومنها:

4-1/الأســـرة:

تشكل الأسرة في وضعها الراهن إحدى المؤسسات الاجتماعية التي عنيت بتربية الطفل وأصبح دورها محدداً بالعديد من الوظائف منها:

- رعاية الأبناء وتربيتهم جسمياً وذلك بتقديم الغذاء الكامل لتنمية أجسامهم وصحياً بحمايتهم من الأمراض، وتعليمهم أساليب النظافة وممارسة العادات الصحية السليمة.

- تقدم الأسرة التربية العقلية والثقافية للأطفال من خلال تزويدهم بالحنان والعطف والحب الأبوي مما يزيد من معدل نموهم العقلي، وتفتح قدراتهم العقلية، جراء شعورهم بالأمن والاطمئنان العاطفي.

- تنمية وتأصيل القيم الأخلاقية في مراحل نمو الفرد المختلفة وخاصة في مرحلة الشباب، فالأسرة بصفة أساسية هي المسؤولة عن تلقين الأخلاق والمبادئ الأخلاقية، ونقل القيم الأخلاقية إلى أبنائها منذ صغرهم، وذلك عن طريق تلقين المبادئ الأخلاقية بأساليب أمرية وتحذيرات خطابية، وذكر أنواع الفضائل الأخلاقية وأنواع المحرمات والرذائل، أي تكوين الحس الأخلاقي لدى الفرد الذي يستطيع التمييز بين الخير والشر.

- تنمية روح الانتماء والمواطنة للمجتمع والوطن وتحقيق الأمن والمحافظة على التقاليد والقيم الوطنية كما أن تدريب الأبناء على كيفية التعامل مع الأمور المالية أمر مهم جداً من الناحية الاقتصادية

- غرس العقيدة الدينية السليمة لدى الشباب منذ الصغر وذلك من خلال الحكمة والموعظة الحسنة ومعرفة الشباب بالعقيدة والالتزام بالأوامر والتكاليف الشرعية من خلال ممارسة الشعائر الدينية وأداء الفرائض، وتجريدهم من الأفكار الهدامة والعقائد الفاسدة وإمدادهم بالقدر المناسب من الثقافة الدينية السليمة التي تحقق لهم أمن ثقافي ديني قادر على مواجهة التحديات العالمية المعاصرة.

- تعليم الفرد منذ صغره اللغة وقدرته على استخدامها، ودلالاتها الثقافية والتعبيرات اللغوية المناسبة للمواقف الاجتماعية، فاستخدام اللغة والقدرة على النطق والتعبير وتوصيل الأفكار يبدأ من الأسرة، من خلال ما توفره للطفل من فرص لاستخدامها والتواصل مع الآخرين، والتعبير عن أفكاره وآرائه، فضلاً على أنها أداة التفكير والإبداع والحفاظ على ثقافة الأمة من التهديدات الموجهة إليها الأسرة و المتطلبات الإعلامية، حيث تقوم الأسرة بالتربية الإعلامية لأبنائها، واختيار شكل ومضمون الرسالة الإعلامية المناسبة لهم وذلك في النقاط التالية:[26]

- تدريب الأبناء على طريقة التفكير العلمي والمهارات العقلية للوصول إلى أفضل استخدام ممكن لوسائل الإعلام بما يحقق لهم تنميةً وتطويراً ورقياً في الجوانب المعرفية والنفسية والسلوكية.

-وقاية الأبناء من إتباع السلوكيات الشائعة في استخدام وسائل الإعلام، لأنها لا توظف للترفيه والتسلية وضياع الوقت، ونشر الرذيلة ولكن لابد أن نأخذ منها ما يتفق مع القيم الدينية والأخلاقية، والمصالحة الدنيوية ونترك ما لا ينفع أو ما يضر وغيره.

- توعية الأبناء بالمفاهيم الخاطئة التي تنشرها الفضائيات أو شبكات الإنترنت عن الإسلام والسلوكيات الخاطئة للمسلمين، وكذلك التوعية بخطورة الثقافة الهدامة، وذلك بالتوجيه والمتابعة وإعادة التصحيح وتعديل سلوكات الأبناء[27].

إجمالا يمكن القول أن الأسرة المغاربية من خلال التنشئة الاجتماعية للفرد تحافظ على الأمن الثقافي المغاربي وتماسكه ضد الأخطار الخارجية وخاصة الثقافية في ظل النظام العالمي الجديد.

ISSN : 2543-3938

2-4/المدرســة

للمدرسة دور بالغ الأهمية في تنشئة الفرد وتنمية شخصيته الاجتماعية وتأهيله علمياً وعملياً فالطفل يبدأ في دخول المجتمع الكبير من خلال المدرسة، حيث يتوجب عليه أن يعيش فيها تحت سلطة نظام اجتماعي، فمنها يبدأ في تعلم ما ينعكس بالضرورة على سلوكه وطبعه وتكيفه مع المجتمع الذي يعيش فيه، ومنها ينعطف نحو المستقبل مزوداً بالقيم والمفاهيم التي تقوده في مسيرته وتحدد إلى حد كبير دوره في هذا المجتمع.[28] ومن هنا ترد أهمية المناهج التعليمية والعلمية التربوية التي تنهض المدارس بتقديمها، والتي يفترض أن يعم من خلالها تربية النشء وتوجيه سلوكه، وتغيير بعض المفاهيم التي نشأ عليها في طفولته المبكرة وما اعتراها من هزات ومشاكل يمكن أن تقوده إلى الجنوح والانحراف، عن ثقافة المجتمع المغاربي ويمكن للمدرسة أن تحقق الأمن الثقافي للأبناء من خلال جملة من التدابير منها:

- السعي نحو تعميق الانتماء الحضاري والوطني للناشئة من خلال الندوات واللقاءات التي يمكن أن تنظمها المؤسسات التربوية المختلفة، وأن يكون الهدف هو تحديد ما يمكن قبوله وما يمكن رفضه من ثقافة الآخرين.
- الاهتمام بتقوية المؤسسات التربوية لكي تقوم بدورها الحضاري، من خلال فتح قنوات حوارية بين المؤسسات التربوية والمؤسسات الأمنية والتي يتم من خلالها عرض مجموعة من المشكلات الأمنية الناتجة عن التحديات الثقافية التي تواجه مجتمعنا.

إن التعليم له دوره الفعال في مواجهة أخطار العولمة التي تواجهها المجتمعات المغاربية، فالنظام التعليمي يعمل على الحافظ على هويتنا، من خلال تعميق الهوية وغرس الانتماء والولاء للوطن ثم للأمة الإسلامية، وفي الوقت نفسه المحافظة على أمن المجتمع من أخطار العولمة، هذا التعليم الذي ننشده لابد أن يقوم على الركائز التالية:

- تربية الهوية وتعميق الانتماء، ذلك أن مجابهة الاختراق الثقافي، يتطلب من النظام التربوي أن يؤدي دوراً أكثر فاعلية في تعزيز الهوية وتعميق الانتماء والاعتداد بالثقافة المغاربية.
- تعزيز وتنمية شعور الناشئة بالمسؤولية الاجتماعية وذلك من خلال حس الفرد، وشعوره وتأكيد دوره ومسؤوليته تجاه المجتمع والمسؤولية الاجتماعية تنمو عند الفرد من خلال إدراكه لعقيدة الأمة وتاريخها وتشرب ثقافتها وقيمها وبذلك يكون التأكيد على تكثيف التربية الإسلامية والمعارف التاريخية والجغرافية من أولويات النظام التربوي لتعزيز ارتباط الفرد بمجتمعه.[29]
- التربية الديمقراطية، حيث تتلاشى كل مظاهر التربية التسلطية، وإقامة العلاقة داخل المؤسسات التعليمية على التقدير والاحترام، كما أنها مطلب أمني من أجل مشاركة الجميع في حفظ الأمن والنظام داخل الدولة.[30]

3-4 وسائل الإعــلام:

يشير مفهوم وسائل الإعلام إلى كافة أوجه الأنشطة الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور بالحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والمشكلات بطريقة موضوعية بما يؤدى إلى خلق درجة ممكنة من الوعي والمعرفة والإدراك والإحاطة الشاملة لدى المتلقي للمادة الإعلامية وبما يسهم في تنوير الرأي العام، فوسائل الإعلام تهدف إلى تنمية وعي أفراد المجتمع بالقضايا الاجتماعية المختلفة وذلك لتحقيق الأمن

والانتماء وحب للوطن، ويمكن تحديد مهام وسائل الإعلام في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي في المغرب العربي في المحاور التالية:

- الإسهام في تنمية الوعي اللغوي بأهمية الحفاظ على اللغة العربية بعيداً عن الألفاظ العامية أو الأجنبية في عالم اليوم، فوسائل الإعلام تعد وسيلة هامة للتثقيف اللغوي في كل أقطار الوطن العربي، لأن من شأنها ترسيخ السلوك اللغوي المنشود، وتوحيد ألفاظ اللغة العربية الفصحى والاهتمام بها في إطار الشعور بالانتماء الواحد للأمة العربية[31].

- الاهتمام بتعليم الشباب اللغة العربية الفصحى البعيدة عن الألفاظ الأجنبية أو العامية التي فرضتها طبيعة العولمة، بما تتبناه من نموذج ثقافي غربي موجه إلى محاربة الثقافة المحلية باعتبارها غير قادرة على مسايرة التقدم العلمي والتكنولوجي فالإعلام بوسائله المتعددة يحافظ على هذه اللغة من خلال ما يقدم من برامج مسموعة أو مرئية أو مقروءة عن أهمية اللغة العربية كمقوم أساسي للذاتية الثقافية وأن الله كرمها بأنها لغة القرآن الكريم، وأنها لغة قادرة على مواكبة التطور العلمي مثل اللغات الأجنبية الأخرى فكل ذلك يسهم في تحقيق الأمن الثقافي لدى الشباب في المغاربي.

- تسهم بطريقة فعالة في تحقيق المتطلبات الأخلاقية من خلال عرض النماذج السلوكية الصحيحة التي تعمل على تكوين السلوك الأخلاقي والمبادئ والقيم الأخلاقية لدى الشباب والعمل على الالتزام بها في كافة المواقف الاجتماعية المختلفة التي يتعرضون لها في الحياة، والتي تحميهم من السلوكيات والعادات الغربية التي يشاهدوها أو يقرؤون عنها في وسائل الإعلام المختلفة، والتي تؤدى بهم إلى الانحلال والانحراف الخلقي من الأمور التي تهدد الأمن الثقافي لدى الشباب في المغرب العربي، فوسائل الإعلام هي المسئولة عن مواجهة هذا الغزو الفكري والأخلاقي.

- تسهم وسائل الإعلام المختلفة في التنشئة الاجتماعية وذلك من خلال تعلم الفرد أنماط التفاعل الاجتماعي والتي تعكس السلوك الاجتماعي السليم في المجتمع، كما تقوم أجهزة الإعلام في ظل النظام العالمي الجديد بتزويد الأفراد وخاصة الشباب بالقيم والمعايير والعمليات الاجتماعية السائدة في المجتمع والتي تعمل على تحصين وحماية الشباب من الداخل ضد مظاهر الخطورة على الأمن في أنواعه المتعددة، فهي تحميهم من الانحرافات المجتمعية المتعددة في ظل التحديات المعاصرة، حتى يتم مواجهتها وتحقيق الأمن الاجتماعي والثقافي المغاربي[32].

- تقوم وسائل الإعلام بالتوعية بخطورة الأمراض والمشكلات المنتشرة بين الأفراد والجماعات، حيث تقوم بالمحافظة على أعضاء المجتمع وإعدادهم بالعمل والتفاعل الاجتماعي مع القضايا الموجودة، وذلك من خلال التأكيد المستمر على الشعور بالانتماء الذي يؤدى إلى إنماء روح المشاركة الاجتماعية في كافة المشكلات والعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها طبقاً للثقافة المرعية داخل المجتمع المغاربي.

ومن ثمَّ، فوسائل الإعلام وخاصة المرئية منها تنمى الوعي بالمشكلات المجتمعية لدى الشباب، من خلال عرض المشكلات المتنوعة كالزيادة السكانية أو البطالة أو الأمية أو الهجرة وغيرها من المشكلات التي تؤثر على الأمن القومي بصورة عامة ويكون تناول وسائل الإعلام لهذه المشكلات من خلال عرض لأسباب المشكلة والأخطار التي

تؤدى إليها، وكذلك تقديم الحلول المناسبة حتى يلتزم بها الشباب في علاج المشكلة التي يعانى منها أو يعانى منها المجتمع بأكمله.

- تدعيم حوار الثقافات بين الشباب، فمن خلال اهتمامها بنشر القيم والأخلاق، ونشر التعاون والسلام ونبذ العنف والإرهاب وتعميق مبادئ العدل والتسامح في ظل الغزو الإعلامي والثقافي سوف يساعد على تدعيم حوار الثقافات بين الأمم والدول المختلفة، وترجمته إلى واقع محسوس يسهم في تحقيق الأمن الثقافي لدى الشباب المغاربي[33].

4-4/المجتمع المدني:

تسهم مؤسسات المجتمع المدني كالتنظيمات الاجتماعية والجمعيات الأهلية في تنمية الشعــور بالمسؤولية والتمسك بالقيم الدينية لتربية الأبناء من خلال عقد الندوات والمؤتمرات التي تدعو فيها علماء الدين، لمواجهة التهديدات المختلفة الموجهة إلى المجتمع المغاربي في كافة مجالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حيث تعمل على التوصل إلى قرارات هامة في مجال ترقية الثقافات والالتزام بأخلاقياتها، إلى جانب توفير القدر الأكبر من الحماية للغة الأم ألاَ وهي اللغة العربية، لأن انهيار اللغة العربية يؤدى إلى هدم ثقافة الأمة، فإتقان اللغة العربية يأتي أولاً قبل إتقان اللغات الأجنبية وإلا انسلخ الفرد عن هويته وانتمائه[34].

- تنمية القيم الأخلاقية في مواجهة كل ما يشاهده من القنوات الفضائية أو شبكات الإنترنت وغيرها، من أمور منافية للقيم والأخلاق والعادات والتقاليد في المجتمع المغاربي، ويكون للشباب المقدرة على التعامل معها بما يحقق الأمن الثقافي المغاربي في أجواء ثقافية عالمية تسودها الهيمنة والتبعية للغرب .

- تساهم بفعالية في إكساب الشباب الخبرات والمهارات الاجتماعية، وتغرس فيهم البعد الثقافي والاجتماعي الذي يميز المجتمع المغاربي عن غيره من المجتمعات الأخرى.

- تنمية القدرات الإبداعية للشباب، من خلال اكتشاف الموهوبين والمخترعين في المجالات المتعددة في المجتمع، وتقدم لهم الإمكانات المادية والتقنية التي تساعدهم على أن يكونوا مخترعين ومبدعين في ظل التطورات التكنولوجية العالمية المعاصرة، وهذا سوف يساعد على توفير المناخ الاجتماعي الآمن لهؤلاء الشباب في مواجهة مشكلاته بالإبداع الذي يحافظ على الذاتية الثقافية من خطر الذوبان في العولمة.

- تسهم مؤسسات المجتمع المدني بدورٍ كبير في إكساب الشباب معايير المواطنة الصالحة، وتنمية المشاركة السياسية لديهم وذلك من خلال إكساب الشباب مبادئ حقوق الإنسان، يجعل منها أداة لتحقيق الأمن والاستقرار للشباب داخل المجتمع المغاربي من خلال معرفة جميع الحقوق الإنسانية التي تكفل لهم الحماية والحق في ظل هيمنة الثقافة الغربية، والتي تعوق تحقيق الأمن الثقافي المغاربي[35].

خاتمة

إن تعبير الأمن الثقافي هو مفهوم حديث الاستعمال إذا قورن ببقية المفاهيم الشائعة مثل الأمن الداخلي والأمن الخارجي والأمن الصحي وغيرها، كما أن مفهوم الأمن لا يستعمل إلا عندما يكون المجال المتحدث عنه يواجه تحديات و أخطارا محددة و لذلك فإننا نلاحظ أن بروز مفهوم الأمن الثقافي ثم تزايد استعماله مرتبط بما تتعرض له الثقافة العربية والإسلامية من تحديات، و خاصة في عالم اليوم تسعى العولمة إلى إيجاد ثقافة عالمية

ISSN : 2543-3938

مسيطرة على الثقافة العربية الإسلامية، وذلك من خلال استخدام آليات التقنية المتطورة التي جلبت الاتصال بين الأمم والشعوب، فهي تسعى إلى تعميم ثقافة استهلاك المنتج الغربي، و تهميش كل ما هو محلي لابد من التأكيد على أن ما تتعرض له ثقافتنا حاليا من اختراق و من محاولات تهميش و تدمير لهو أعمق أثرا و خطورة مما تتعرض له المجالات الأخرى لقد عرفنا كيف عمدت العولمة في جانبها الثقافي، إلى إنتاج نمط ثقافي واحد و تصديره عبر وسائل السيطرة المختلفة كالتقنية و المعلوماتية و الاتصالات، و شيوع ثقافة الصورة و الثقافة الالكترونية وكيف يمكن أن تجعل كل هذه الأسباب دول المغرب العربي في حالة احتلال عقلي، و بما أن هذه الدول تمثل الطرف الأضعف في المعادلة، فإن تأثير العولمة عليها كان بشكل سلبي، لأنها تستهلك ولا تنتج، و لأن الخاسر في العولمة هو الأضعف إنتاجا.

انطلاقا مما سبق تبين لنا حالة الأمن الثقافي لدول المغرب العربي الثلاث (الجزائر، تونس، المغرب) والذي أصبح مهددا في ظل تنامي ظاهرة العولمة وضرورة تحقيقه، قبل أن تتلاشى الثقافة العربية الإسلامية لهذه الدول، وتكون ثقافتها الأصلية في المرتبة الثانية بعد ثقافة الغرب التي أتاحتها العولمة إذا لم تنتبه هذه الدول لثقافتها، وتقوم بخطوات ملموسة في سبيل تكريس الثقافة العربية و الرقي بها في مختلف المجالات، و يأتي بعد ذلك تحديد المشكلات التي أتاحت الفرصة للوسائل الثقافية للعولمة والتي تم استعراضها سابقا وأشرنا إلى مؤشرين رئيسيين للخطر الذي يهدد الأمن الثقافي المغاربي وهما ضعف البنية الثقافية الناتجة عن الإهمال و التقصير من طرف المسؤولين ومحاولات الاحتواء و الهيمنة التي تفرضها ثقافات أجنبية في زمن العولمة.
الأخرى الاقتصادية و المادية....ذلك لأن الأمن الثقافي يتعلق بهوية الأمة و بمميزات شخصيتها ووحدتها الحضارية وبالتالي بكيانها ووجودها ذاته.

للإشارة فان مواجهة الغزو الثقافي عن طريق المعاداة للثقافة الغربية و الانغلاق، بل من خلال التفاعل مع الثقافة الأخرى و التواصل معها والاستفادة من تجارب أمتها مع الحفاظ على جوهر الثقافة العربية الإسلامية ومن أجل تحقيق الأمن الثقافي لدول المغرب العربي في زمن العولمة، لابد من استيعاب التطور الحاصل في العالم بما يلاءم واقعنا الثقافي مع الحفاظ على مكونات هويتنا الأساسية من دين ولغة، فيجب التسليم بأن الثقافة تتطور وتختلف مع مرور الزمن، فثقافة الغد مختلفة الاختلاف النوعي عن ثقافة اليوم وتختلف بداهة عن ثقافة الأمس، إن هذه ليست دعوة إلى إهمال الماضي الثقافي والموروث العربي وإنما هي دعوة لمواكبة التغير دون التخلي عن الثوابت والقيم العربية الإسلامية.

الهوامش

[1] مصطفى محمود منجود، **الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام**،القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996، ص :30 – 32.

[2] Charles-Philippe David, Jean Jacques Roche, Théories de la sécurité : définition, approches et concept de la sécurité internationale, Paris, édition Montchrestien, 2002, p 85.

[3] Alex Macleod, les études de sécurité : du constructivisme dominant au constructivisme critique, in: Cultures and Conflits, N° 54, 2004, p 14.

[4] تاكايوكي يامامورا،"مفهوم الأمن في نظرية العلاقات الدولية، ترجمة: د. عادل زقاغ http://www.geocities.com/adelzeggagh/secpt.htm

[5]كوش هنري، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة:قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص، 20.

[6] السيد محمد الديب، العولمة والهوية الثقافية، "الثقافات المحلية في ظل العولمة"، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم الأنثروبولوجيا، جامعة القاهرة، 2003، ص، 6.

[7] عبد العزيز التويجيري، العولمة و الحياة الثقافية في العالم الإسلامي، دار الفكر العربي، 2001 ، ص 30 .

[8] أمين جلال أحمد، العولمة و الهوية الثقافية و المجتمع التكنولوجي الحديث، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد 234 ، أوت1998 .

[9] محمود محمود النجيري، الأمن الثقافي العربي التحديات وأفاق المستقبل، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1991.

[10] جامعة أم القرى، المرجع السابق. أنظر: http://uqu.edu.sa/page/ar/11830

[11] جامعة أم القرى، المرجع السابق، ص ص، 5 -10.

[12] بوطالب محمد نجيب، العولمة و التنوع الثقافي :مسيرة تبلور و تطور الهوية الثقافية المغاربية"، .مجلة الجامعة المغاربية، العدد الثاني ، 2007.

[13] محمد عبده،"آثار العولمة على الهوية الثقافية"،مجلة الفكر السياسي، العددان 4 و5 ، 1998 .

[14] بلقزيز عبد الإله، في مفهوم الأمن الثقافي"،جريدة الوطن، العدد1530 جوان 2009 .

[15] العزي غسان، **في جذور العولمة و إشكالاتها**"، منبر الحوار، بيروت، العدد 37 ، 1999

[16]نور الدين بن نعيجة،"الهوية الوطنية بين الموروث التاريخي وتحديات العولمة والرقمنة"، **(مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة)– الأغواط**، أكتوبر 2016.

http://www.crsic.dz/index.php?option=com

[17]خالد بن عبد الله القاسم، المرجع السابق،ص 5.

[18] زغو محمد، "أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب"، (الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية)، 2010، ص ص، 98 .99.

[19] أبوبكر رفيق،"مخاطر العولمة على الهوية الثقافية للعالم الإسلامي"،(دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيت اغونغ)، ديسمبر 2007، ص،11.

[20] زغو محمد ، المرجع السابق، ص، 99.

[21] خالد بن عبد الله القاسم، المرجع السابق، ص 5.

[22] محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ط1، دار نهضة مصر ، القاهرة، 1999، ص، 10

[23] نور الدين بن نعيجة المرجع السابق http://www.crsic.dz/index.php?option=com.op.cit

[24] عبد المالك خلف التميمي، قضية التعريب في المغرب العربي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت،عدد1، 1981.

[25] الجابر زكي، الثقافة العربية في معركتها ضد الاغتراب، مجلة الناشر العربي،عدد :01، 1983.

[26] سميرة أحمد السيد، علم اجتماع التربية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1993 ، ص،17.

[27] أدوار المؤسسات التربوية غير النظامية في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي، مرجع سبق ذكره

[28] سعد عبد الله بردي الزهراني، دور المدرسة في الوقاية من الجريمة، الرياض، مركز الدراسات و البحوث، 1999 ، ص89 .

[29]إبراهيم بن محمد، مستقبل التعليم والأمن في عصر العولمة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ، 1999، ص9 .

[30]مصطفى العوجي، التربية كوسيلة للوقاية من الانحراف، جامعة نايف العربية للدراسات الأمنية الرياض، ص77 .

[31]الجريبع محمد عبد الإله،" وسائل الإعلام العربي و العولمة الثقافية"، الدراسات الإعلامية،عدد: 100، مارس 2008.

[32] منصور درة شلبي، وسائل الإعلام والاتصال والتنشئة الاجتماعية".مجلة الإذاعات العربية، العدد: ، 01 2006، ص 112-117.

ISSN : 2543-3938

[33] نفس المرجع، ص، 120.

[34] محمد الغيلاني، محنة المجتمع المدني:مفارقات الوظيفة و رهانات الاستقلالية، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2005 ، ص78 .

[35] الحبيب الجنحاني، المجتمع المدني و أبعاده الفكرية، ط1، دمشق، دار الفكر، 2003 ، ص62.